نشأة الاستشراق

د. عبد الكريم محمّد علوان
المدير التنفيذي لصحيفة العدالة
dr.abdulkareem1959@gmail.com

المقدمــة

أطلق لفظ الاستشراق على المحاولة التي قام ويقوم بها بعض مفكري الغرب للوقوف على معالم الفكر الإسلامي وحضارته وثقافة الشرق وعلومه.

كما أطلق لفظ مستشرق على المفكرين المشتغلين بدراسة علوم الشرق وتاريخه وحضارته وأوضاعه الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، ومن المفيد أن يعرف القارئ الكريم أن مصطلح (الشرق) يرجع في أصل وضعه إلى مفكري الغرب، فهم الذين قسموا العالم إلى شرق وغرب، وقسموا الشرق إلى شرق أدنى وأوسط واقصى، ويطلق لفظ الشرق عادة على المنطقة وشعوب آسيا وأفريقيا، أما لفظ الشرق الأوسط فيطلق عادة على المنطقة العربية وشعوب آسيا وأفريقيا، أما لفظ الشرق الأوسط فيطلق عادة على المنطقة العربية، وفي العصر الحاضر أطلق لفظ العالم الثالث على تلك الشعوب التي كان يطلق عليها في الماضي العالم الشرقي، أو دول الشرق.

لذا فأن الاستشراق هو دراسة كافة البنى الثقافية للشرق من وجهة نظر غربي، وتستخدم كلمة الاستشراق أيضاً لتدليل تقليد أو تصوير جانب من الحضارات الشرقية لدى الرواة والفنانين في الغرب. المعنى الآخير هو معنى مهمل ونادر استخدامه، والاستخدام الأغلب هو دراسة الشرق في العصر الاستعماري ما بين القرن الثامن عشر والتاسع عشر. لذلك صارت كلمة الاستشراق تدل على المفهوم السلبي وتنطوي على التفاسير المضرة والقديمة للحضارات الشرقية والناس الشرقيين. وجهة النظر هذه مبينة في كتاب أدوارد سعيد الاستشراق (المنشور سنة ١٩٧٨).

والاستشراق تعبير يدل على الاتجاه نحو الشرق، ويطلق على كل ما يبحث في أمور الشرقيين وثقافتهم وتاريخهم. ويقصد به ذلك التيار الفكري الذي يتمثل في إجراء الدراسات المختلفة عن الشرق الإسلامي، والتي تشمل حضارته وأديانه وآدابه ولغاته وثقافته. ولقد أسهم هذا التيار في صياغة التصورات الغربية عن الشرق عامة وعن العالم الإسلامي بصورة خاصة، معبراً عن الخلفية الفكرية للصراع الحضاري بينهما.[١]

اختلف الباحثون في تحديد بداية الاستشراق ونشأته: فيذكر البعض أنه بدأ في القرن العاشر الميلادي بينما يرى البعض الآخر أن الاستشراق بدأ في أعقاب الحروب الصليبية التي استمرت زهاء قرنين (١٠٩٧-١٢٩٥م) ويقول البعض: أن الاستشراق بدأ في الأندلس في القرن الثالث عشر الميلادي حين اشتدت حملة الصليبيين الأسبان على المسلمين فدعا "الفونس" ملك فشتالة" ميشيل سكوت "ليقوم بالبحث من علوم المسلمين وحضارتهم فجمع "سكوت" طائفة من الرهبان في إحدى الأديرة وشرعوا في ترجمة بعض الكتب من اللغة العربية إلى لغة الفرنجة ثم قدمها "سكوت لملك صقلية الذي أمر باستنساخ نسخ منها وبعث بها هدية إلى جامعة باريس.[٢]

ويربط أحد الباحثين بين ظهور الاستشراق وبداية الأطماع الأوربية الاستعمارية في العالم الإسلامي في القرن الثامن عشر الميلادي حين ضعفت قبضة الدولة العثمانية التي كانت تضرب سياجاً من العزلة منع الأوربيين من الاتصال بالشرق فترة ثم ما لبثت أوربا أن تدخلت في شؤون الشرق فكان ذلك بداية الاستشراق.

وهناك من يعتبر الحملة الفرنسية على مصر وغيرها من بلاد الشرق في سنة ١٧٩٨م هي البداية الحقيقية للاستشراق لأن الحملة جاءت ومعها عدد كبير من المستشرقين الذين قاموا بعمل دراسات مختلفة نشرت في الكتاب المعروف "بكتاب وصف مصر".[٣]

على أنه يجب أن نفرق بين نوعين من الاستشراق: أولهما "سلمي" يتمثل في إقدام الغربيين على أن ينهلوا من منابع الحضارة الشرقية وأهمها الحضارة الإسلامية فمن الثابت أن المسلمين أصبحوا- فيما بين القرن الثامن والثالث عشر الميلادي حملة مشاعل الثقافة في ربوع العالم أجمع، في الوقت الذي كانت فيه أوربا تسبح في دياجير الظلام وقد أشعت الحضارة الإسلامية بنورها على أوربا من منافذ عدة أهمها بلاد الأندلس الإسلامية التي كتبت صفحة من اروع صفحات الحضارة في القارة الأوربية في العصور الوسطى إذ انهالت عليها البعثات العلمية من شتى ربوع أوربا وقصدها المتعطشون للعلم والمعرفة.[٤]

وإذا كان نجم الإسلام قد أفل في سماء الأندلس على النحو المذكور فإنه قد بزغ في سماء بلاد أخرى على أيدي الأتراك العثمانيين الذين أسقطوا الدولة البيزنطية وفتحوا عاصمتها القسطنطينية وتربعوا على الأناضول ثم توغلوا في جنوب شرقي أوربا ناشرين الإسلام هناك ودانت لحكمهم كل شبه جزيرة البلقان التي تشمل اليوم أغلب أراضي كل من: رومانيا وبلغاريا واليونان ويوغوسلافيا والمجر وألبانيا، وتحطمت الأحلاف المسيحية المتعددة التي الفت ضدهم حلفاً أثر حلف وامتد نفوذ المسلمين في أوربا وعلت أصوات المؤذنين في مساجدها ويمكن القول بأن الدولة العثمانية منذ مطلع القرن السادس عشر غدت أقوى دولة على وجه الارض ويشير المستشرق الأمريكي المعاصر "ولفرد سميث" إلى دور الأتراك العثمانيين في حماية الإسلام والعالم الإسلامي بقوله: ليس تاريخ الأتراك العثمانيين في حماية الإسلام ببعيد، وهم عظماء في إسلامهم واستغلوا قوتهم في دعم الإسلام فنشروه في جهات كثيرة ودافعوا عنه ضد المسيحيين وهم الذين تغلبوا على الدولة البيزنطية ألد أعداء الإسلام فقضوا عليها وفضلاً عن ذلك نشر الأتراك الإسلام في جنوبي أوربا أما من جهة الثقافة الإسلامية فقد منحوها العون الكثير بنشاطهم ومثابرتهم وقد ترتب على ذلك من اكتسب الإسلام مرتدين عن المسيحية يقدر عددهم بعشرات الملايين.[٥]

Abstract

Orientalism is considered one of the most important means that paved the way for military colonialism and the conquest of the East culturally and militarily, and modern colonialism depends on orientalists effectively in stuying the psychology of peoples, their customs and traditions, and the best means of controlling them with the least possible cost, which follows the events of the nineteenth and twentieth centuries, which are the most active centuries. “Colonialism” knows the extent of the strong connection between colonialism and Orientalism. Hence, we find orientalists working in many of the embassies of colonial countries. It is the responsibility of these orientalists to contact the thinking minds in the countries they want to control culturally or militarily, as well as contact senior workers in leadership positions in the country. The fields of culture, media, public and university education, and appropriate means are

indispensable in trying to contain these personalities through friendship, participation in cultural works, or providing expertise to them, or.. or... etc., and through these personalities they are able to implement their plans to invade the country intellectually. Then militarily if necessary. Modern colonialism was able to conquer most Islamic counties intellectually and culturally through this method. It was also able to implement its plans to control the minds of many thinkers in the world.

There country; to be the tool for implementing colonial programs in this country(6).

Saladin Al-Ayyubi's seizure of Jerusalem was not something that the west had forgotten. Rather, the hope of controlling it and ridding it of the hands of the Muslims remained a dream and hope for the Crusaders.

Therefore, the crusades were repeated many times against Jerusalem to achieve this goal, and it was one of the means that the west took to achieve it. Their goal is to try to study what is related to the affairs of the country and the conditions of the people in it, and this matter that the Orientalists did paved the way for colonialism to occupy Muslim countries by both the easiest and shortest means. The nineteenth century had barely ended without the west occupying most of the Islamic and Arab countries in particular, so france put its hand in On Syria, Lebanon, and most of the Islamic countries of North Africa, and England placed its hand on Egypt, Sudan, Iraq, Jordan, Palestine, many of the emirates of the Arabian Gulf, and Yemaen.

Colonialism began to deal in a new way with the peoples of these regions, as it worked to weaken the spirit of resistance in the souls of Muslims to make them peoples susceptible to colonization in thought, culture, civilization and belief, and this is the most dangerous thing.

The Islamic world was afflicated by its susceptibility to colonialism in its modern and contemporary forms and methods. All Christian countries colluded against Islam and Muslims since the plot was set up and the plan was hatched. It prepared for the Crusades, then actually carried out these wars, and provided them with large crowds of its men, money, and equipment, and gave it the opportunity to work, because the Muslims were secure in a reality of backwardness and dispersion.

النشأة:

هناك ربط بين نشأة الاستشراق وبداية ظهوره وذلك بسبب الإخفاق الذريع الذي منيت به أوربا في الحروب الصليبية على يد صلاح الدين الأيوبي، ذلك أن الحملات الصليبية لم تحقق للغرب طموحاته، ولم تسعفه بالسيطرة على الشعوب العربية واستخلاص بيت المقدس من أيدي المسلمين، ومن الجدير بالذكر أن الحملات الصليبية المتكررة على العالم الإسلامي قد رفعت الصليب شعاراً لهذه الحرب لتعلن للعالم الأوربي أنها حرب دينية مقدسة من ناحية أسبابها ودوافعها، ومن ناحية غايتها وأهدافها، وما دامت هذه الحملات لم تحقق الهدف الذي قامت من أجله فلابد من البحث عن بديل آخر، ولابد من التفكير عن وسيلة أخرى- ربما كانت طويلة الأجل – تحقق لهم هدفهم من السيطرة على شعوب المنطقة وإخضاع العالم الإسلامي لنفوذهم الثقافي والحضاري ثم السياسي والاقتصادي، وكان الاستشراق هو ذلك البديل المتاح في حينها، ليحقق أحلام الغرب وأهدافه ومراميه.[٧]

وللباحثين آراء متباينة في تحديد تاريخ حركة الاستشراق ومنشئها، لأنها لم تبدأ بصورة منظمة أو بتخطيط سابق، بل كانت في البداية جهوداً فردية وعفوية؛ من هنا صعب على الباحثين التعرف على التاريخ بالدقة والتحديد.[٨]

وبعد أن ظهرت هذه الحركة شيئاً فشيئاً واتضحت أفكارها عند أهلها وقويت شوكتها، أصبح لها مسار مخصص، ومنهج مميز، وكوادر ومنظمات ومؤسسات. وإذا كانت فكرة السيطرة على العالم الإسلامي تمثل الهدف والغاية من نشأة الاستشراق، فإن ذلك لا يمنع أن يتجاوز الاستشراق هذا الهدف في مسيرته التاريخية إلى أهدفا أخرى علمية أو حضارية أو ثقافية، لكن الهدف الأسمى للاسستشراق لم يغب عن ذهن المستشرقين لحظة واحدة، بل كان هو المحور والأساس الذي دارت حوله معظم دراسات المستشرقين التي قاموا بها حول الشرق وعلومه، وقد تختلف درجة وضوح هذا الهدف ووسيلة التعبير عنه من شخص إلى آخر ومن جيل إلى جيل من المستشرقين، إلا أن ذلك لم يكن سببه غياب الهدف عن ذهن هذا المستشرق أو ذلك، وإنما كان سببه يرجع إلى حظ المستشرق نفسه من الثقافة العربية ودرجة إتقانه لها، وذكائه في أسلوب التعبير عن غايته وهدفه، تصريحاً أو تلميحاً.

ولقد تغير أسلوب المواجهة بين العالم الإسلامي والغرب بعد الحروب الصليبية؛ فاحتلت الكلمة والحوار واستخدام المنهج العلمي المكانة الأول في دراسة نفسية الشرق لمعرفة الأسلوب الأمثل للمواجهة، وكان ذلك بديلاً عن المواجهة بالسلاح والقوة العسكرية، ولقد فرض هذا الأسلوب الجديد في المواجهة العكوف على دراسة أحوال الشرق؛ لغته ودينه، حضارته وتاريخه، فلسفته وعلومه، عقيدته وأصولها، وأن توضع المناهج الدراسية المناسبة لاستكشاف عوامل هذه القوة الصلبة التي تكسرت عليها تلك الحملات الصليبية المتكررة، ومحاولة فهمها وتحليلها تحليلاً نفسياً لمواجهتها بأسلوب يختلف تماما عن المواجهة العسكرية، ولما كان القائمون على أمر الحروب الصليبية والمحركون لها هم رجال الكنيسة وسدنتها، فإن ذلك جعل رجال الكنيسة في طليعة المهتمين بأمر الشرق ودراسة أحواله، ومن هنا فإن طليعة المستشرقين كانوا في معظمهم من القساوسة ورجال الدين المسيحي.[٩]

بداية الاستشراق وتاريخه:

لا نستطيع الجزم بتحديد أول شخص نبتت في ذهنه فكرة الاستشراق وغزو الشرق من الداخل، إلا أن معظم المحققين لهذه المسألة يكادون يجمعون على أن بداية هذه الحركة نشات في نهاية القرن العاشر الميلادي وأوائل القرن الحادي عشر بفرنسا، وأن الراهب الفرنسي (جرير دي أولياك ٩٣٨-١٠٠٣م) كان من اوائل المشتغلين بعلوم الشرق، وارتباطت باسمه بداية حركة الاستشراق، إذ رحل من فرنسا إلى أسبانيا مهد الحضارة الإسلامية في وقته، فتعلم فيها اللغة العربية ووقف على علوم العرب في الرياضيات والطب والكيمياء والفلسفة، كما قرآ بعض العلوم الدينية حتى قيل إنه كان أوسع علماء عصره معرفة بعلوم العرب، وخاصة في الرياضيات والفلك، ثم ارتحل إلى روما حيث اشتهر من بين أقرانه بمعرفته الواسعة باللغة العربية وعلومها، وانتخب حبراً أعظم باسم سلفستر الثاني (٩٩٩-١٠٠٣م) وكان بذلك أول بابا فرنسي، واستطاع من خلال منصبه الجديد أن ينشئ مدرستين لتدريس اللغة العربية وعلومها، وكانت الأولى في روما مقر البابوية، والثانية في وطنه الأصلي "دايمس"، ثم انشأ بعد ذلك مدرسة ثالثة تسمى مدرسة "شارتر" وقام هذا الراهب الفرنسي بترجمة بعض الكتب العربية في الرياضيات والفلك، وإليه يرجع الفضل في انتشار الأعداد العربية في أوربا التي كانت ينقصها رقم الصفر، ولم تكن تعرفه حتى نقله إليها (جرير دي أولياك) من اللغة العربية إلى اللغة اللاتينية.[١٠]

ثم جاء بعده (قسطنطين الأفريقي ١٠٨٧)، و(بطرس المحترم ١٠٩٢-١١٥٦م) و(أرجو دي سانتلا ١١٠٧م) ثم (جيرارد كريمون ١١١٤-١١٨٧م)، ثم تتابع رواد هذه الحركة وتكاثرت اعدادهم واختلفت جنسياتهم بحيث شملت معظم دول أوربا وأمريكا في العصر الحديث، وكان هؤلاء إذا عادوا إلى بلادهم عملوا على نشر علوم العرب بين أبناء وطنهم، إلى أن تطور الأمر بعد ذلك؛ إذا انشات الحكومات الأوربية في جامعاتها أقساماً متخصصة لتدريس اللغة العربية وعلوم الشرق.

ثم أخذت بعد ذلك حركة الاستشراق تنمو في اطراد مستمر حتى ١٣١١-١٣١٢م، حيث عقد مؤتمر فينا الكنسي، وكان من أهم قراراته إنشاء كرسي للغة العبرية والعربية في معظم جامعات أوربا، فتأسس كرسي اللغة العربية في روما على نفقة الفاتيكان، وفي باريس على نفقة ملك فرنسا، وفي أكسفورد على نفقة ملك إنجلترا، ويرى كثير من المؤرخين لحركة الاستشراق أن هذا المؤتمر هو البداية المنظمة وشبه الرسمية للاستشراق، وما كان قبل ذلك إنما كان بمثابة الإرهاص لميلاد هذه الحركة، وتبع ذلك انتشار المدارس والمعاهد الاستشراقية المعنية بدراسة الشرق وعلومه الإسلامية بصفة خاصة.[١١]

أن الحروب الصليبية قد تركت آثارها السيئة على نفسية الغرب، لكنها في الوقت نفسه قد فتحت أعين الغرب على الشرق وما فيه من علوم ومعارف وحضارة، ولقد واكب ذلك ما شهدته أوربا من حركة الإصلاح الديني وموقف الكنيسة من العلم والعلماء، ولقد فرضت هذه الظروف الجيدة على الكنيسة أن تعيد ترتيب أوراقها، وأن تعيد النظر في المفاهيم الدينية التي تتعامل بها مع العلماء، بحيث تعيد تأويل هذه المفاهيم بما لا يتعارض مع العلم، وترتب على هذه النزعة الإصلاحية أن أحس الغرب بحاجته إلى معرفة المزيد من علوم الشرق وثقافته، ومن هذه المواقف وغيرها كانت الدوافع والأهداف وراء حركة الاستشراق.[١٢]

دوافـع الاستشراق:

أكد الكثير من الباحثين والمهتمين بدراسة الاستشراق على أن هنالك مجموعة من الدوافع يأتي في طليعتها الدافع الديني الذي نشأ على أثر شعور المسيحيين بخطر انتشار الإسلام بشكل واسع ثم ازداد هذا الشعور قوة بعد فشل الحملات العسكرية الصليبية ضد الإسلام واتخذ مسيحيو الغرب اسلوباً فكرياً جديداً يهدفون من خلاله اعطاءه صورة مشوهة وخاطئة عن الإسلام تتضمن تشكيك المسلم بدينه وتبعد غير المسلم عن اعتناق الإسلام، ثم تبرز الدوافع الأخرى المتمثلة بالدافع الاستعماري والدافع الاقتصادي والدافع السياسي والدافع الاستراتيجي والدافع العلمي.[١٣]

وسنلقي الضوء على هذه الدوافع التي نجح المستشرقون من خلالها التوجه نحو العرب والإسلام وتحقيق هدفهم في إضعاف المسلمين وتشويه عقيدتهم.

١-الدافع الديني:

ينكر الرهبان المبشرون على الإسلام ونبيه الكريم ﷺ كل صواب وكل فضل، ويريدون ان يثبتوا لاتباعهم وخاصة منهم الذين درسوا وتثقفوا في الأندلس أن الإسلام هو مزيج من اليهودية والمسيحية والوثنية وهي من أهداف الكنيسة التي تستخدمهم لتشويه الإسلام والطعن بالنبي ﷺ، وقد وصل الأمر إلى التشكيك بعلوم المسلمين وتراثهم، والإتهام بأن الإسلام دين متخلف وقد حشر العرب أمام أحد اختيارين لا ثالث لهما، أما ان تظلوا أبناء الإسلام وحينئذ لن يكون ثمة تطور وأما أن تتطوروا لن يكون ثمة إسلام وهكذا تتفق آراء الكنيسة مع المستشرقين من ا جل أن يثبتوا للمسيحيين أولاً ثم العالم بأن الإسلام لا يستحق أن ينتشر ناسين أو متناسين أن الإسلام وحضارته أنقذتهم من ظلمات الجهالة التي عاشوها في القرون الوسطى. واستمر المتشددين بتوجيه هجومهم على الإسلام، منطلقين من الأكاذيب والافتراءات والدس والخبث التي يوجهونها إلى عقيدتنا الإسلامية وتاريخها وإلى النبي النبي الكريم ﷺ. ومن المناسب هنا أن نذكر بعض آراء المستشرقين في هجومهم على النبي محمد ﷺ. يقول الباب اشنونبوس الثالث عن محمد ﷺ أنه المسيح الدجال[١٤] ويقول كارل بروكلمان ((اتصل ببعض اليهود والنصارى أما في مكة نفسها فلعله اتصل بجماعات من النصارى كانت معرفتهم بالانجيل هزيلة إلى حد بعيد))[١٥]. وان النبي محمد ﷺ اقتبس عن التوراة فكرة الخطيئة الأصلية ، وأن النبي محمد ﷺ ترجع معتقداته فيما يتعلق بالعالم الآخر إلى مصادر يهودية وهكذا تتصل بصورة غير مباشرة بمصادر فارسية وبابلية قديمة. ثم يقول بروكلمان عن مسألة عقيدة التوحيد عند المسلمين ((أن الوحدانية التجريدية التي كانت إلى حد كبير اساس قوة الإسلام لم تنشأ إلا تدريجياً ولقد سبقت من الإشارة إلى نزوع النبي الأولى إلى الاعتراف بالآلهة المكية الرئيسية شفعاء عند الله))[١٦]. أن هذه الافتراءات والزيف الذي جاء به هؤلاء المبشرين والمستشرقين تؤكد على أن الدافع الديني سيطر على معظم كتاباتهم وابحاثهم ولسنا في موقف الدفاع عن الإسلام في هذه الصفحات، فالإسلام واضح والدفاع عنه واجب ديني على كل مسلم لكننا اردنا ان نسوق الأمثلة القليلة لتوضيح الحقد الصليبي الذي غرسته الكنيسة والمبشرون في قلوب الباحثين حتى ينشئوا كارهين للإسلام وعقيدته، ان هذه الآراء لا تمثل الحقيقة التي جاء بها الإسلام وقد اعترف الكثير من المستشرقين الغربيين بأن ما نسج عن النبي الكريم ﷺ وعن الإسلام ما هي إلا اكاذيب يقول برنادشو ((لقد طبع رجال الكنيسة في القرون الوسطى دين الإسلام بطابع اسود حالك أما جهلا وأما تعصبا، أنهم كانوا في الحقيقة مسوقين لعامل بغض محمد ودينه فعندهم محمد

كان عدوا للمسيح ولقد درست سيرة محمد الرجل العجيب وفي رأيي أنه بعيد جدا من ان يكون عدوا للمسيح وإنما ينبغي أن يدعى منقذ للبشرية))[١٧] . وعلى الرغم من هذا الرأي وآراء الكثير من المنصفين التي مشار لها في نهاية بحثنا فأن التعصب الديني ظل مسيطر على كتابات معظمها.[١٨]

٢- الدافع الاستـعماري:

منذ ان بدأت الدول الأوربية بالاستكشافات الجغرافية بدأ معها فكرة السيطرة على البلاد العربية والاستعمارية فكريا وسياسيا واقتصاديا، وهي في حقيقتها امتداد لوحشية الحروب الصليبية فإذا كانت محاولات التغلغل الاستعماري في البلاد العربية والاستعمارية قد بدأت منذ مطلع القرن السادس عشر والقرون اللاحقة فإنها تمكنت في بداية القرن العشرين وبالتحديد بعد الحرب العالمية الأولى من الاستيلاء على بلاد العرب والمسلمين وبدأ المستعمرون بدراسة أوضاع البلاد الإسلامية عن طريق تشجيع المستشرقين ودعمهم في القيام بالدراسات التي تتناول أوضاع المسلمين في بلدانهم لحاجة المستعمرين إلى العمل على إضعاف المسلمين ببث الفرقة والوهن في صفوفهم واضعاف روح المقاومة والصمود واستبعاد فكرة الجهاد عندهم عن طريق الكثير من الوسائل التي استخدموها ومن أهمها التبشير بحضارة الغرب المادية والانفتاح والاعجاب بها، ثم التشكيك بحضارة المسلمين وتراثهم وقيمهم وعاداتهم ومحاولة تمزيق وحدة المسلمين عن طريق إثارة النعرات الطائفية التي تثير الفرقة والشقاق.[١٩]

يضاف إلى ذلك أن المستعمرين الأوربيين لم ينكفوا عن محاربة اللغة العربية من خلال تقليص تعليمها ونشر وتشجيع تعليم اللغات الاجنبية بين المسلمين والعرب عن طريق تدريس هذه اللغات في المدارس العربية واحياناً احلالها محل اللغة العربية كما هو الحال في بلدان المغرب العربي قبل الاستقلال إضافة إلى تشجيعهم لدراسة اللهجات العامية لغرض خلق واقع إقليمي بديل عن الوحدة العربية التي تعتبر من أهم مقومات وحدة الشعب العربي والإسلامي لغة القرآن الكريم.[٢٠]

٣- الدافـع الاقتصادي:

دخل الدفاع الاقتصادي في ميدان النشاط الاستشراقي بتشجيع ودعم من قبل الأوربيين المستعمرين الذين كانوا يرغبون في معرفة الاحوال الاقتصادية للبلدان العربية الإسلامية لتحقيق أهدافهم الاستعمارية في السيطرة على الثروات الطبيعية لتلك البلدان من جهة ومحاولة الكشف عن طبيعة العقلية العربية الإسلامية وكيفية التعامل معها[٢١]، من جهة أخرى ثم جعل البلدان الإسلامية سوقاً لتصريف المنتجات الأوربية والترويج لها وتوجيه المؤسسات الاقتصادية في خدمة المستعمر وقد بدأ النشاط الاستشراقي في دراسته وقامت مجموعة من الشخصيات العلمية برفع مذكرة إلى جامعة كمبردج تطلب إنشاء مركز للدراسات العربية الإسلامية فيها، وقد جاء في المذكرة (يضع المركز نصب عينيه خدمة مصالح الملك والدولة وذلك بالعمل من اجل ازدهار تجارتنا مع إطار الشرقية وتوسيع حدود الكنسية- إذا شاء الله في الوقت المناسب ونشر هدي الدين المسيحي بين اولئك الذين لا يزالون يتخبطون في ظلمات الجهالة)[٢٢] . وقد تبنى المهتمون بشؤون الشرق وضع الإمكانيات اللازمة لإجراء بحوث الاستشراق في ميادينها المختلفة.

٤- الدافـع السياسي :

لا يمكن فصل الدافع السياسي عن الاستشراق، وان أكبر الخطر أن ننظر إلى الاستشراق بمعزل عن سياقه السياسي، ذلك أن سفارات وقنصليات الدول الاوربية المتواجدة في البلدان الإسلامية تلعب دوراً كبيراً ومهماً في الاتصال برجال الفكر المثقفين والامتزاج بهم للتغلغل بين صفوفهم وبث الاتجاهات السياسية التي تخدم وتثبت الأفكار الهدامة والثقافات الأوربية في عقول العرب والمسلمين وتفجير الصراعات الفكرية التي لعبت دوراً كبيراً في تمزيق وحدة المجتمع العربي والإسلامي ونتج عنها تغير في الأنظمة ومؤسساتها وحدوث الانقلابات العسكرية.[٢٣]

وأصبح الفكر السياسي الأوربي مسوغا مقبولا لدى الكثير من المثقفين الذين تأثروا بتلك الأفكار وروجوا بأسم الموضوعية والبحث العلمي، وامسى الكثير من المثقفين يرددون بأن نبحث عن نظرة مشتركة لفهم تلك الأفكار التي هاجمت تراثنا وديننا وحضارتنا. وهكذا اعطت الدافع السياسي ثماره، بحدوث صدمة في مجتمعنا الإسلامي التي اضعفت الحصانة المبدئية للمسلمين الذين بدوا يقلدون الغرب وثقافته باسم مواكبة العصر.[٢٤]

٥- الدافـع العلمي :

لا تنكر المساهمة التي قام بها بعض المستشرقين الذين اقبلوا على دراسة الحضارة العربية الإسلامية وتراثنا وما قدمه العلماء العرب والمسلمين للعالم بدافع علمي بغية الاستفادة من تراث أمتنا وحضارتها وقد انصفوا هؤلاء في كتاباتهم وذكروا بفضل العرب على أوربا عندما ابتعدوا عن الأهواء السياسية والتعصب القومي والديني وكرسوا أقلامهم بنقل الحقيقة فجاءت مؤلفاتهم حقا ذات طابع علمي واثبتوا بوضوح للعالم الغربي حينئذ صدق ديننا واصالة حضارتنا، كما اثبتوا زيف وافتراء بعض المستشرقين الذين انصب حقدهم على الإسلام ويذكر الباحث (كارلايل) لقد اصبح من أكبر العار على كل فرد متمدن في هذا العصر أن يصغي إلى ما يظن من أن دين الإسلام كذب، وان محمد خداع مزور وان لنا ان نحارب ما يشاع من مثل هذه الأقوال المخجلة فالرسالة التي أداها ذلك الرسول ما زالت السراج المنيرة مدة اثنى عشر قرنا لنحو مائتي مليون من الناس امثالنا خلقهم الله الذي خلقنا.[٢٥]

ويقول دريول (كانت إيطاليا تتخبط في دياجي الحرب ولاسيما على عهد برابرة المملكة المقدسة قبل انتشار النور العظيم الذي انبعث من نهضتها، كان الفتح العربي في طرفي البحر المتوسط اعظم واخصب من الفتح الروماني وقد دامت ممالكه قروناً)[٢٦] . إن مثل هؤلاء المستشرقين المنصفين لا تلقى مؤلفاتهم في الغرب رواجاً بسبب سياسة التعصب الديني عند رجال الدين الغربيين، ورجال السياسة الحاقدين على حضارتنا ولعلنا لانبالغ عندما نذكر بأنهم يتعرضون إلى النقد والتشهير من قبل المتعصبين الغربيين.[٢٧]

مراحل الاستشراق:

أن حركة الاستشراق مرت بعدة مراحل وأطوار:-

المرحلة الأولى : الانبهار بالحضارة العربية والاتجاه إليها.

المرحلة الثانية: ما بعد الحروب الصليبية.

المرحلة الثالثة: التنظيم الفعلي.
المرحلة الرابعة: ما بعد الحرب العالمية الثانية.

أ- المرحلة الأولى :

الانبهار بالحضارة الإسلامية والأخذ منها.

اعترف الكثير من المستشرقين والباحثين، بفضل الحضارة الإسلامية على أوربا واكدوا ان الأوربيين يدينون للعرب والمسلمين بحضارتهم التي بهرتهم عندما كانوا يعيشون في ظلمات الجهالة لايعرفون اين يذهبون، كانت شعلة الحضارة العربية الإسلامية موقدة في الأندلس.

فبدأ المستشرقون الأوربيون يدرسون علوم المسلمين ولغاتهم وقد بدأ يتأثرون بهذه العلوم ثم يترجمونها إلى لغاتهم بعد ان بدأ المسلمون ترجمة الكتب اللاتينية.

ويؤكد المستشرق غوستاف لوبون في كتابه "حضارة العرب" أنه: إذا كانت هنالك أمة نقر بأننا مدينون لها بمعرفتنا لعالم الزمن القديم فالعرب هم تلك الأمة لا رهبان القرون الوسطى الذين كانوا يجهلون حتى اسم اليونان[٢٨]. ويقول نكلسون "أن اعمال العرب العلمية اتسمت بالدقة وسعة الآفق، وقد استمد منها العلم الحديث. بكل ما تحمل هذه العبارة من معان. مقدماته بصورة أكثرنا عليه مما نفترض[٢٩]. أما المستشرقة الألمانية زيغريد هونكه فقد كتبت في كتابها (شمس العرب تسطع على الغرب) تقول: "في مراكز العلم الأوربية لم يكن هنالك عالم واحد من بين العلماء إلا ومد يده على الكنوز العربية يغرف منها ما شاء الله ان يغرف... ولم يكن هنالك كتاب واحد من بين الكتب التي صدرت في أوربا آنذاك إلا وقد ارتوت صفحاته بالري العميم من الينابيع العربية واخذ منها وظهر فيه تأثيرها واضحاً ليس فقط في كلماته العربية المترجمة بل في محتواه وافكاره، فالكتب التي درسها الدارسون واستند إليها الباحثون كانت كتب ابن سينا وأبي القاسم الزهراوي والرازي وابن زهرة وحنين بن إسحاق.[٣٠]

وعلى الرغم من هذا كله فالاستشراق الذي عاش في كنف الكنيسة ترعاه وتوجهه وتتفق عليه على طمس كل فضل لأمتنا في عقيدتها وتاريخها وحضارتها الإنسانية، لقد كانت جامعاتنا في العصور الوسطى مفتوحة أمام الأوربيون الذين جاءوا إليها من بلادهم، وتعلموا من العلماء المسلمين مختلف العلوم وخاصة الفلسفة والطب والرياضيات والفيزياء والبصريات والفلك، واستطاعوا ان يترجموا بعض الكتب العربية إلى لغاتهم، وكان من بين هؤلاء المستشرقين الراهب الفرنسي "جربرت" الذي انتخب باباً لكنيسة روما سنة ٩٩٩م بعد عودته إلى بلاده من الاندلس متزوداً بالعلوم والمعارف، والراهب "جيراردي الكريموني" ١١١٤-١١٨٧م ثم بدأت الجهات الرسمية في أوربا توفد مبعوثين للدراسة وتلقي العلم وكانت أولها بعثة فرنسية برئاسة الأميرة إليزابيت قريبة ملك فرنسا لويس السادس ثم بعثة ثانية انجليزية برئاسة الاميرة دوبان ابنة الأمير جورج حاكم مقاطعة ويلز. ثم تعددت البعثات من بافاريا وسكسونيا والراين وبلغ عدد الطلبة سبعمائة.[٣١]

من هنا كان اهتمام الأوربيين ينصب على ترجمة الكثير من الكتب العربية إلى اللاتينية وقد انشأ "رايموند الاول" رئيس اساقفة طليطلة مكتب المترجمين لسنة ١١٣٠م وتم من خلاله ترجمة العديد من الكتب في مجال الرياضيات والفلك والطب والكيمياء والطبيعة والتاريخ الطبيعي وعلم المنطق والسياسة.[٣٢]

وفي نفس الاتجاه بدأت أول ترجمة للقرآن الكريم على يد الراهب الانجليزي "هرمان" سنة ١١٤٣م وظلت الترجمة حبيسة حتى سنة ١٥٤٣م[٣٣]، من هنا نلاحظ أثر الحضارة الإسلامية على أوربا قد بدأ واضحاً من خلال كتابات المستشرقين الأوائل.

ب- المرحلة الثانية :

مرحلة ما بعد الحروب الصليبية

لابد من الإشارة هنا على ان الاستشراق يعد إحدى نتائج الحروب الصليبية التي خاضها الصليبيون ضد المسلمين والتي انتهت بفشلهم عسكرياً وهزيمتهم أمام المسلمين لإيمانهم الراسخ بعقيدتهم، على أن تلك الهزيمة لم تثنِ عزم الصليبين عن اتباع أساليب أخرى لزحزحة المسلمين عن عقيدتهم عن طريق الغزو الفكري لتشويه صورة الإسلام بقيام المستشرقين الأوربيين بدراسة الحضارة الإسلامية ليأخذوا منها السلاح الجديد الذي يغزون به الفكر الإسلامي.[٣٤]

ولسنا في معرض الحديث عن أساليب الغزو الفكري الأوربي للحضارة الإسلامية ولكننا نؤكد بأن المستشرقين بدأوا من خلال دعم الكنيسة لهم بل قيام مجمع فينا لسنة ١٣١١م للكنائس برئاسة البابا أكلمنتس الخامس من تأسيس أقسام الدراسات العربية والشرقية والتي عرفت لاحقاً بكراس الدراسات الشرقية في العديد من الجامعات الغربية لدراسات العربية والعبرانية والكلدانية[٣٥]. ثم بعدها تأسيس المعاهدة الخاصة بالدراسات العربية الإسلامية والسؤال هنا يطرح نفسه، هل كانت تلك المعاهد في دراستها للحضارة العربية الإسلامية والتي يقودها علماء الاستشراق تفعل ذلك من اجل البحث العلمي واقتباس المناهج العلمية من العرب والمسلمين أو كان هدف آخر لهم؟

لقد ركز المستشرقون الأوائل على الهجوم على الإسلام وعقيدته والتشكيك بها لأنهم يعتبرون الإسلام يشكل تهديدا للعالم المسيحي الغربي، وأن مناهج الكثير من المستشرقين اتسمت في دراستها للحضارة العربية الإسلامية، خلال الحروب الصليبية وبعدها فكرية عدائية تصور الإسلام بأنه صورة خرافية، وأن سيطرة المسلمين وإقامة حضارتهم في أسبانيا هي الأخرى صورة أسطورية في محاولة لإقناع المسيحيين باستعادة اسبانيا فأخذت صورة الإسلام تتأثر لعدة قرون بتشويهات اولئك المستشرقين.[٣٦]

من هنا يتضح لنا أن المستشرقين كونوا صورة لا موضوعية عن الإسلام وطبعوها في عقول المسيحيين في الغرب رغم تسامح الإسلام تجاههم.

ج- المرحلة الثالثة :

مرحلة التنظيم لعملية الاستشراق

بدأت مرحلة جديدة من الاستشراق تظهر ملامحها في نهاية القرن الثامن عشر، بعد أن أدرك الغربيون ضرورة تنظيم العملية الاستشراقية، فتم عقد المؤتمرات الاستشراقية منذ سنة ١٧٨٣م[٣٧]. والتي رسمت اهداف جديدة لتنظيم الأنشطة السياسية والعلمية والفكرية، وتحول الكثير من المستشرقين إلى موظفين في وزارات الخارجية لبلدانهم، فأخذوا يعملون تحت غطاء المناهج العلمية لتحقيق أهدافهم التي رسمتها دولهم الاستعمارية مسنودين من قبل رجال السياسة، وقد تطور الأمر إلى انشاء مؤسسات ومعاهد في البلاد الغربية والبلاد العربية والإسلامية لخدمة الاستشراق والمستشرقين، والحقيقة ان هذه المؤسسات

والمعاهد هي لخدمة الاستعمار والتبشير للمسيحية من جهة وتشويه الفكر الإسلامي والتشكيك فيه من جهة أخرى.[٣٨]

وظهر الاتجاه المنظم للعملية بإصدار العديد من الكتب والمجلات في البلدان الغربية والاستيلاء على الكنوز العربية الإسلامية المتمثلة في المخطوطات والوثائق المهمة ونقلها إلى البلدان الغربية في مكتباتها ومتاحفها عن طريق سرقتها او شرائها وقد بلغ في أوائل القرن التاسع عشر مائتين وخمسين ألف مجلد جميعها تمثل تراث الأمة العربية الإسلامية[٣٩]، وقد ازدادت حركة المستشرقين تنظيماً بمرور الزمن وعقدت الكثير من المؤتمرات بدعم من الحكومات الغربية لدراسة احوال البلدان الشرقية التي استعمروها ووضعوا الخطط لتنفيذ اهدافه في التآمر على الإسلام والمسلمين والهجوم عليه بشكل مباشر وقد انفقت الحكومات الغربية الكثير من الأموال على أبحاث المستشرقين، ثم بدأت مرحلة جديدة تناول بها المستشرقين في ابحاثهم الهجوم المتستر على الإسلام، وقد ظهر من المفكرين والباحثين إلى انصافهم لأن منهجهم في البحث قد تغير، وأخذ يتجه إلى الموضوعية والتجرد وعليه يجب أن يتم النظر لهم نظرة جديدة تقوم على الثقة، وفي الواقع أن نهج كتاباتهم عن الإسلام تغير شكلاً ولم يتغير مضموناً وأن الدليل على ذلك ما اشار اليه بعض مستشرقي العصور الحديثة، انظر مثلا إلى أجناس جولد قوله:

"فتبشير النبي العربي، ليس إلا مزيجا من معارف وآراء دينية، عرفها واستقها بسبب اتصاله بالعناصر اليهودية والمسيحية وغيرها التي تأثر بها تأثيراً عميقاً".[٤٠]

ويقول كارل بروكلمان "اقتبس النبي عن التوراة فكرة الخطيئة الأصلية وإنما ترجع معتقداته فيما يتعلق بالعالم الآخر إلى مصادر يهودية، وهكذا تتصل بصورة غير مباشرة بمصادر فارسية وبابلية قديمة.[٤١]

ويقول توراندرية "أن افكار محمد غير متجانسة وغير منسجمة ومضطربة اشد الاضطراب"[٤٢] من خلال ما عرضناه من أقوال بعض المستشرقين تتضح لنا الصورة الحقيقية لكتاباتهم المشوهة عن الإسلام.

حيث ينكروا على الإسلام ونبيه الكريم ﷺ كل صواب وكل فضل وكل جديد ويريدون أن يوهموا الناس بأن الإسلام مزيج متنافر بين اليهودية والمسيحية والوثنية، وخطؤهم كائن في حقدهم الذي أوصلهم إلى قصر النظر.

فمن الغريب ألا نجد شيئاً مشتركاً بين الديانات السماوية، لقد جاء موسى متأخراً عن إبراهيم فأمن به، وجاء عيسى متأخراً عنهما، فآمن بإبراهيم وموسى، وجاء محمد (ص) بعدهم فأمن بإبراهيم وموسى وعيسى عليه أفضل الصلوات والسلام[٤٣]. وهكذا فأن فهم هؤلاء المستشرقين للإسلام لايمكن فصله عن واقعهم الفكري والسياسي والاجتماعي والاقتصادي للمرحلة التي عاشوا فيها، والتي البسوها ثوب المنهجية العلمية الحديثة المنظمة.

د- المرحلة الرابعة :

مرحلة ما بعد الحرب العالمية

تتميز هذه المرحلة من الدراسات الاستشراقية بظهور نزعة لدى عدد من المستشرقين تدعوا إلى تحرير الاستشراق من الأغراض التبشيرية وانتهاج البحث العلمي المجرد لكنه لا يخلو من التعصب للسياسة الاستعمارية، لذلك تناول بعض المستشرقين المعاصرين في كتاباتهم في الأقسام الشرقية في الكثير من الجامعات الغربية وقد توفر في هذه الرحلة عشرات الآلاف من المخطوطات وكم كبير من المواد

والوثائق الخاصة بالشرق وقد ساهمت الادارات الحكومية والأجهزة الاستعمارية والمؤسسات الدينية والاقتصادية في كل ذلك وقد اتيحت امكانيات واسعة لنشاط العمل الاستشراقي من خلال توفير المواد وتنوعها واعدت دراسات اكاديمية كثيرة عن الاستشراق.

وبدأ عصر الاستشراق في هذه المرحلة يركز على الجانب السياسي عندما تعرض المستشرقون المعاصرون في دراساتهم للمجتمعات نحو المنطقة العربية من خلال دعم اليهود في إقامة دولتهم على أرض فلسطين[٤٤]. وأصبح الاستشراق يبحث عن دور يمكنه من أن يلعب دوراً مهما في المنطقة العربية والإسلام، ومن خلال عقد المزيد من المؤتمرات الاستشراقية وقد اظهرت حقائق تبين ان الاستشراق قد اسهم في تعزيز المفاهيم والرؤى السلبية تجاه العروبة والإسلام.[٤٥]

وهذه المراحل كلها دُرست لدى الباحثين عن الاستشراق بتفاصيلها، ونحن لا يهمنا هذا الجانب بقدر ما يهمنا جهود المستشرقين في مجال الترجمات وأهدافهم من وراء ذلك.

الأسباب الدينية:

ويمكن اعتبار أن من أهم الأسباب للاستشراق هي أسباب دينية وكما يلي:-

وكان هذا الهدف وراء نشأة الاستشراق، وقد صاحبه خلال مراحله الطويلة وهو يتمثل في:

١- التشكيك في صحة رسالة النبي "ﷺ"، والزعم بأن الحديث إنما هو من عمل المسلمين خلال القرون الثلاثة الأولى، والهدف الخبيث من وراء ذلك هو محاربة السُنّة النبوية بهدف إسقاطها حتى يفقد المسلمون الصورة التطبيقية الحقيقية لأحكام الإسلام ولحياة الرسول ﷺ، وبذلك يفقد الإسلام أكبر عناصر قوته.[٤٦]
٢- التشكيك في صحة القرآن والطعن فيه، حتى ينصرف المسلمون عن الالتقاء على هدف واحد يجمعهم ويكون مصدر قوته وتنأى بهم اللهجات القومية عن الوحي باعتباره المصدر الأساسي لهذا الدين (تنزيل من حكيم حميد).
٣- التقليل من قيمة الفقه الإسلامي واعتباره مستمداً من الفقه الروماني.
٤- النيل من اللغة العربية واستبعاد قدرتها على مسايرة ركب التطور وتكريس دراسة اللهجات لتحل محل العربية الفصحى.
٥- إرجاع الإسلام إلى مصادر يهودية ونصرانية بدلاً من إرجاع التشابه بين الإسلام وهاتين الديانتين إلى وحدة المصدر.
٦- العمل على تنصير المسلمين.
٧- الاعتماد على الأحاديث الضعيفة والأخبار الموضوعة في سبيل تدعيم آرائهم وبناء نظرياتهم.
٨- لقد كان الهدف الاستراتيجي الديني من حملة التشويه ضد الإسلام هو حماية أوربا من قبول الإسلام بعد أن عجزت عن القضاء عليه من خلال الحروب الصليبية.

كان للمستشرقين عناية فائقة واهتمام كبير من جوانب كتاب الله كافة فبحثوا في نزوله ووحيه وجمعه وترتيبه وتفسيره، وفصاحته وبلاغته وأسلوبه، بل في ألوهيته وبشريته وفي كل الموضوعات المتعلقة بكتاب الله الكريم.[٤٧]

ولايخلو أدب من آداب الاستشراق إلا ويعالج قضية من قضايا القرآن الكريم أو موضوعاً من موضوعاته؛ لكون القرآن مصدراً رئيساً لدى المسلمين للشريعة الإسلامية، ولكون القرآن– في اعتقاد المسلمين- ناسخاً للكتب السماوية الأخرى. ومن ضمن اهتمامات المستشرقين بالقرآن وعلومه قيامهم بطباعة النص القرآني في وقت مبكر من اختراع أوربا لفن المطابع.

وأول طبعة للقرآن الكريم في نصه العربي يلفها الغموض في تحديد تاريخها ومكان طباعتها والجهة المشرفة عليها ومصيرها ومما قيل عنها: إنها طبعت في البندقية أو روما في الفترة ما بين ١٤٩٩م و١٥٣٨م دون الاتفاق على تاريخ محدد.[٤٨]

إلا أن هناك اتفاقاً على أن هذه الطبعة أتلفت بأمر من البابا، وإذا كان هناك من الباحثين من يرجع سبب إتلافها إلى رادءة طباعتها وعدم تقيدها بالرسم الصحيح للمصحف حسب ما اتفق عليه علماء المسلمين، مما جعل المسلمين يحجمون عن اقتنائها، إلا أن تدخل البابا وأمره بإتلافها يوحي بأن هناك دافعاً دينياً أيضاً وراء إتلاف هذه الطبعة وأول طبعة للقرآن بقيت بدون إتلاف هي تلك التي قام بها إبراهام هنكلمان ١١٢٥هـ/١٦٩٤م .[٤٩]

يقول يوهان فك في تاريخ حركة الاستشراق: القرآن الذي حرّم البابا ألكسندر (١٦٥٥م-١٦٦٧م) نشره أو ترجمته تمت طباعته في نهاية القرن (١٧) مرتين على التوالي بفاصل زمني قصير، مرّة في سنة ١٦٩٤م من قبل راهب من مدينة هامبورج يدعى إبراهيم هنكلمان (١٦٥٢م-١٦٩٦م)، ومرة أخرى في سنة (١٦٩٨م) من قبل لودفيجو ماراتشي، والطبعة التي قام بها إبراهام هنكلمان هي أول طبعة للنص الكامل للقرآن الكريم بحروف عربية، وانتشرت ولاتزال توجد منها نسخ في بعض مكتبات أوربا[٥٠]. ومهما يكن من أمر، فان الواقع التاريخي المرّ الذي اثبتته جهود هؤلاء المستشرقين في سبيل إخراج النص القرآني مطبوعاً كان لمجرد كونه وثيقة تاريخية ثمينة تاريخية باعتبارها مبدأ أساسياً لإيمان وعقيدة أولئك الذين ملكوا العالم وملؤوه بحضارتهم وثقافتهم ولم يقوموا بطباعة القرآن بصفته وحياً مُنَزَّلا من الله سبحانه وتعالى.

ظهـور الاستشراق:

يعتبر الاستشراق حديث الظهور إلاّ أنَّ معرفة الشرق وما يتعلق به من أفكار يعود إلى الأزمات الغابرة ، ويؤيد ذلك ما عثر عليه في التنقيبات من النقوش الأثرية على الأحجار، ثم تلت ذلك حركة الاستشراق في القرون الوسطى، لتؤكد ذلك من خلال الوقائع التاريخية والنصوص الجغرافية، وكتب الأسفار وغيرها.[٥١]

أمّا ما هو الزمن الذي أخذ فيه الاستشراق نموّه الحقيقي، وأصبح علماً يُدرّس، فيمكن القول: إنّ المساعي التي بذلها الباحثون من إيطاليا وبريطانيا والبرتغال لدراسة الشرق، كان في القرن الخامس عشر والسادس عشر الميلادي، وكان من بينهم على سبيل المثال توماس هربرت.[٥٢]

كان الباحث الشاب ذكياً وماهراً ، استطاع الوصول إلى السواحل الجنوبية لإيران قادماً من الهند، بالتنسيق مع السفير البريطاني آنذاك، فبدأ بكتابة بحوثه حول إيران والإيرانيين. في القرن السابع عشر والثامن عشر أخذا الاستشراق بالانتشار حتى أنَّ كتاب (كلستان سعدي) طبع لأول مرة في أوربا خلال تلك الفترة.[٥٣]

ومنذ أواخر القرن السابع عشر الميلادي أصبحت مدينتا لندن وباريس من المراكز الرئيسية في تدريس الاستشراق، ثم توسع حتى أصبحت أكثر البلدان الأوربية في الوقت الحاضر لديها معاهد خاصة بتدريس الاستشراق بجميع أقسامه، وتخرج في كل عام أعداداً كبيرة من الأساتذة، الذين يغذون البحوث والدراسات في أوروبا في مجال الاستشراق.[٥٤]

الخاتمــة:

يعتبر الاستشراق من أهم الوسائل التي مهدت للاستعمار العسكري وغزو الشرق ثقافياً وعكسرياً والاستعمار الحديث يعتمد على المستشرقين بصورة فعالة في دراسة نفسية الشعوب، وعاداتها وتقاليدها، وأفضل الوسائل للسيطرة عليها بأقل قدر ممكن من التكاليف، والذي يتابع أحداث القرن التاسع عشر والقرن العشرين "وهما أكثر القرون في النشاط الاستعماري يعلم مدى الصلة القوية بين الاستعمار والاستشراق، ومن هنا فإننا نجد في كثير من سفارات الدول الاستعمار مستشرقين عاملين بها، ويقع على عاتق هؤلاء المستشرقين مهمة الاتصال بالعقول المفكرة في البلاد التي يريدون السيطرة عليها ثقافياً أو عسكرياً، وكذلك الاتصال بكبار العاملين في المناصب القيادية في مجالات الثقافة والإعلام والتعليم العام والجامعي، ولا تنقصهم الوسائل المناسبة في محاولة احتواء هذه الشخصيات عن طريق الصداقة أو المشاركة في أعمال ثقافية أو تقديم الخبرة لهم، أو... أو... إلخ، وعن طريق هذه الشخصيات يستطيعون تنفيذ خططهم في غزو البلاد الإسلامية فكرياً ثم عسكرياً إذا اقتضى الأمر، وقد استطاع الاستعمار الحديث أو يغزو معظم البلاد الإسلامية فكرياً وثقافياً عن هذا الطريق، كما استطاع أن ينفذ خططه في السيطرة على عقول كثير من المفكرين في بلادهم؛ ليكونوا هم الأداة لتنفيذ برامج الاستعمار في هذه البلاد.[٥٥]

لم يكن استيلاء صلاح الدين الأيوبي على بيت المقدس بالأمر الذي ينساه الغرب، بل إن الأمل في السيطرة عليه وتخليصه من أيدي المسلمين، ظل حلماً وأملاً للصليبين، ولذلك فإن الحملات الصليبية تكررت كثيراً على بيت المقدس لتحقيق هذا الهدف، وكان من الوسائل التي سلكها الغرب لتحقيق هدفهم محاولة دراسة ما يتعلق بشؤون البلاد وأحوال الناس فيها، وهذا الأمر الذي قام به المستشرقون قد مهد السبيل للاستعمار لكي يحتل بلاد المسلمين بأيسر السبل وأقصرها معاً، فلم يكد ينتهي القرن التاسع عشر إلا وقد احتل الغرب معظم البلاد الإسلامية والعربية بصفة خاصة، فوضعت فرنسا يدها على سوريا ولبنان ومعظم دول شمال أفريقيا الإسلامية، ووضعت إنجلترا يدها على مصر والسودان والعراق والأردن وفلسطين وكثير من إمارات الخليج العربي واليمن، وبدأ الاستعمار يتعامل بأسلوب جديد مع شعوب هذه المناطق، إذ عمل على إضعاف روح المقاومة في نفوس المسلمين ليجعل منهم شعوباً قابلة للاستعمار فكراً وثقافة وحضارة وعقيدة، وهذا أخطر ما أصيب به العالم الإسلامي؛ قابليته للاستعمار بأشكاله وأساليبه الحديثة والمعاصرة.

تواطأت الدول النصرانية كُلها على الإسلام والمسلمين منذ بيَّتت المكيدة، ودبرت الخطة ، وأعدت العدة للحروب الصليبية، ثم قامت فعلاً بهذه الحروب، وقدمت لها حشوداً كبيرة من رجالها، وأموالها وأعتدتها، واتتها فرصة العمل، لأن المسلمين قد أمسوا في واقع من التخلف والتفرق ومجافاة الإسلام لايُحسدون عليه بل يرثى لحالهم فيه.[٥٦]

هوامش البحث

[١١] السامرائي، قاسم ، الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية، ص٥٧-٥٨.

[٢] السامرائي، قاسم ، الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية، مصدر سبق ذكره، ص٥٧.

[٣] عبدالحميد، عرفان، المستشرقون والإسلام ، مطبعة الارشاد ، بغداد، ١٩٦٩، ص١٦.

[٤] عبدالحميد، عرفان، المستشرقون والإسلام، مطبعة الارشاد، بغداد، ١٩٦٩، ص١٧-١٨.

[٥] المصدر السابق، ص١٩.

[٦] http://www.burhanukum.com /article1938.html 1)Al-Jalind, Muhammad Al-Sayyid, a lecture published on the website).

[٧] الخربوطي، علي حسني، المستشرقون والتاريخ الإسلامي، سلسلة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، عدد الاول، القاهرة، ١٩٧٠م، ص٧٠.

[٨] المصدر نفسه، ص٧٠.

[٩] الخربوطي، علي حسني، المستشرقون والتاريخ الإسلامين سلسلة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، عدد الأول، القاهرة، ١٩٧٠م، ص٧١.

[١٠] بروكلمان، كارل، تاريخ الشعوب الإسلامية، دار الملايين، بيروت، ١٩٦٠م، ص٧٠.

[١١] بروكلمان، كارل، تاريخ الشعوب الإسلامية، دار الملايين، بيروت، ١٩٦٠م، ص٧١.

[١٢] الشبيب، قصي كامل صالح، من تاريخ أوربا الحديث، محاضرات كلية الآداب، جامعة السابع من إبريل، ١٩٩٨م، ص٩٣.

[١٣] المصدر نفسه، ص٩٣.

[١٤] شوقي أبو خليل، اضواء على مواقف المستشرقين والمبشرين، جمعية الدعوة الإسلامية، طرابلس-ليبيا، ١٩٩٢، ص١٧.

[١٥] بروكلمان، كارل، تاريخ الشعوب الإسلامية، دار الملايين، بيروت، ص٧٠.

[١٦] عبدالحميد، عرفان، المستشرقون والإسلام، مطبعة الارشاد، بغداد، ١٩٦٩، ص١٧-١٨.

[١٧] بروكلمان، كارل، مصدر سبق ذكره، ص٧١.

[١٨] المصدر نفسه، ص٧١.

[١٩] بروكلمان، كارل، مصدر سبق ذكره، ص٧١.

[٢٠] ستودار، لوثروب، حاضر العالم الإسلامي، ترجمة عجاج نوهيض، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٣م، ص٨٣.

[٢١] علي، محمد كرد، الإسلام والحضارة الغربية، ١٩٧٤م، القاهرة، ص٦٥.

[٢٢] ستودادر، لوثروب، حاضر العالم الإسلامي، مصدر سبق ذكره، ص٨٣.

[٢٣] ستودادر، لوثروب، حاضر العالم الإسلامي، المصدر السابق، ص٨٤.

[٢٤] علي، محمد كرد، مصدر سبق ذكره، ص٦٥.

[٢٥] علي ، محمد كرد، مصدر سبق ذكره، ص٦٥.

[٢٦] حريشه، علي، مصدر سابق، ص١٩.

[٢٧] حريشه، المصدر نفسه، ص١٩.

[٢٨] G Lebon: La civelistion des Arabes, p.614.

[٢٩] R. Anicholson: A literay History of the Arabs, p.281.

[٣٠] زيغريد، هونكه، شمس ا لعرب تسطع على الغرب، نقله إلى الألمانية: فاروق بيضوني وكمال الدسوقي، ١٩٨١، ص٣٠٥-٣٠٦.

[٣١] الخربوطي، علي حسني، مصدر سبق ذكره، ص٧١.

[٣٢] العقيقي، نجيب، مصدر سبق ذكره، ص٩٨-٩٩.

[٣٣] البنداق، محمد صالح: المستشرقون وترجمة القرآن الكريم، دار الآفاق الجديدة ، بيروت، ١٩٨١م، ص٩٠.

[٣٤] جريشه، علي، أساليب الغزو الفكري، القاهرة، ١٩٧٧م، ص١٩.

[٣٥] مدني، صلاح، تاريخ العصور الوسطى في أوربا، القاهرة، ١٩٧٩م، ص٧١.

[٣٦] عبدالكريم، ابراهيم، الاستشراق وابحاث الصراع لدى إسرائيل، دار الجليل، عمان، ١٩٩٢، ص٢٤.

[٣٧] جريس، صبري، العرب في إسرائيل، بيروت، ١٩٦٧، ص١٠٨-١٠٩.

[٣٨] عبدالكريم ، ابراهيم، مصدر سابق، ص٢٥.

[٣٩] جريس، صبري، العرب في إسرائيل، مصدر سابق، ص١٠٩.

[٤٠] ابو خليل، شوقي: أضواء على مواقف المستشرقين والمبشرين، جمعية الدعوة الإسلامية، طرابلس- ليبيا، ١٩٩٢، ص٨-١٠.

[٤١] عبدالحليم محمود، أوربا والإسلام، القاهرة، ص٥٢.

[٤٢] عبدالحليم محمود، المصدر نفسه، ص٥٤.

[٤٣] أبو خليل ، شوقي، مصدر سبق ذكره والصفحة نفسها.

[٤٤] عبدالكريم ، إبراهيم، مصدر سبق ذكره، ص٢٤.

[٤٥] عبدالحميد، عرفان، المستشرقون والإسلام، ص٤٥.

[٤٦] الاعرجي، ستار جبار، الوحي ودلالاته في القرآن الكريم، دار الكتب، بيروت، ١٩٩٥م، ص٢٠١.

[٤٧] عبدالحميد ، عرفان ، المستشرقون والإسلام، مطبعة الرشاد، بغداد، ١٩٦٩م، ص٤٥.

[٤٨] ابو خليل، شوقي، اضواء على مواقف المستشرقين والمبشرين، جمعية الدعوة الإسلامية، طرابلس-ليبيا، ١٩٩٢م، ص١٣١.

[٤٩] عبدالحليم، محمود، أوربا والإسلام ، القاهرة، دار مصر للطباعة، ١٩٩٥م، ص٢١٨.

[٥٠] غراب، احمد، رؤية إسلامية للاستشراق، ص٥٤-٥٥.

[٥١] المطعني، عبدالعظيم إبراهيم محمد، آفتراءات المستشرقين ، مكتبة وهبه، القاهرة،ط١، ١٩٩٢م/١٤١٣هـ.

[٥٢] عبدالحليم، محمود، أوربا والإسلام، ص١٣٢.

[٥٣] غراب، احمد، رؤية إسلامية للاستشراق، ص٥٦.

[٥٤] المطعني، عبدالعظيم ، افتراءات المستشرقين، ص٨.

[٥٥] الجليند، محمد السيد، محاضرة منشورة على موقع http://www.burhanukum.com/article1938.html :

[٥٦] الجليند، محمد السيد، مصدر سابق.

المصادر:

١- ابو خليل، شوقي، اضواء على مواقف المستشرقين والمبشرين، جماعة الدعوة الإسلامية، طرابلس، ليبيا، ١٩٩٢.
٢- الأعرجي، ستار جبار، الوحي ودلالاته في القرآن الكريم، دار الكتب، بيروت، ١٩٩٥.
٣- بروكلمان، كارل، تاريخ الشعوب الإسلامية، دار الملايين، بيروت، ١٩٦٠.
٤- البنداق، محمد صالح، المستشرقون وترجمة القرآن الكريم، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨١.
٥- جريس، صبري، العرب في إسرائيل، بيروت، ١٩٦٧.
٦- الجليند، محمد السيد، محاضرة منشورة على موقع: http://www.burhanukum.com/article1938.html
٧- حريشة، علي، أساليب الغزو الفكري، القاهرة، ١٩٧٧.
٨- الخربوطي، علي حسني، المشرقون والتاريخ الإسلامي، سلسلة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، العدد الأول، ١٩٧٠.
٩- زيغريد، هونكه، شمس العرب تسطع على الغرب، نقله عن الألمانية، فاروق بيضوني وكمال الدسوقي، ١٩٨١.
١٠- السامرائي، قاسم، الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية.
١١- ستودادر، لوثروب، حاضر العالم الإسلامي، ترجمة عجاج نوهيض، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٣.

١٢- الشبيب، قصي، كامل صالح، من تاريخ أوربا الحديث، محاضرات كلية الآدابن جامع السابع من إبريل، ١٩٩٨م.
١٣- عبدالحليم، محمود، أوربا والإسلام، القاهرة، دار مصر للطباعة، ١٩٩٥.
١٤- عبدالحميد، عرفان، المستشرقون والإسلام، مطبعة الرشاد، بغداد، ١٩٦٩.
١٥- عبدالكريم، ابراهيم، الاستشراق وابحاث الصراع لدى إسرائيل، دار الجليل، عمان، ١٩٩٢.
١٦- العقيقي، نجيب، المستشرقون.
١٧- علي، محمد كرد، الإسلام والحضارة الغربية، القاهرة، ١٩٧٤.
١٨- غراب، احمد، رؤية إسلامية للاستشراق، ط٢، ١٩٩٠.
١٩- مدني، صلاح، تاريخ العصور الوسطى في أوربا، القاهرة، ١٩٧٩.
٢٠- المطعني، عبد العظيم ابراهيم محمد، أفتراءات المستشرقين، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ١٩٩٢م/١٤١٣هـ.
21- G Lebon: loc civelistion des Arabes .
22- R. Anicholson: A literay History of the Arabs.